د.علي محمود الطوالبة ـ جامعة البلقاء التطبيقية ـ الأردن
د. نواف عبد الكريم غرايبة ـ جامعة البلقاء التطبيقية ـ الأردن

تجليات الزمن في عراقيّات الأبيوردي
دراسة نصيّة

الملخص

تحاول هذه الدراسة جاهدة أن تستجليَ صورة الزمن في عراقيّات الأبيوردي، وموقف الأبيوردي منه إيجاباً أو سلباً بالاعتماد على النصوص الشعرية الممثلة للظاهرة، دون التحيّز إلى منهج نقديّ معيّن . حيث قُسِّمَت الدراسة إلى تمهيد يتحدث عن الزمن في التراث الشعري والنقدي، ثمّ خصّت بالحديث عراقيّات الأبيورديّ، وتجليات الزمن فيها. فرأى الباحث أنّ الزمن في شعره يرتبط بثلاثة مظاهر، هي: المرأة والممدوح والشاعر.

وقد وصل الباحث إلى أنّ موقف الأبيورديّ من الزمن قد بدا متأرجحاً بين السلبية والإيجابية؛ إذ بدا إيجابيًّا متصالحاً معه عند حديثه عن المرأة والممدوح، وسلبيًّا عند حديثه عن الزمن الخاص به (أي الشاعر) لظلم المجتمع له لفقره وكثرة حاسديه.

الكلمات المفتاحيّة : الأبيوردي، الزمن، المرأة، الممدوح، الشاعر.

Abstract

The study aimed at describing the picture of time in Iraqiat Al-Abiordi and his view about its negatively and positively Depending on the Poetic texts actress phenomenon without bias to approach a certain criticism. The study is divided into introductory that addresses the poetic and monetary heritage which addresses specifically Iraqiat Al-Abiordi and time. The researcher concludes that time connects with three aspects, women, praised person، and the Poet.

The study revealed that the view of Al-Abiordy from the time vacillates negatively and positively. Thus, it is positive while talking about the woman and praised person and negative while talking about time from the poets point view because of the society inequity on him for his poverty and envy.

Keywords: *Al-Abiordi, Time, Women, Praised person, Poet.*

الزمن في التراث الشعري والنقدي

شكل الزمن ظاهرة على مَرِّ عصور الأدب العربي وخاصة الشعري منه ؛إذ استرعى اهتمام الشعراء في كل عصر وحين، فنجده في الشعر الجاهلي، والأموي، والعباسي، وصولاً إلى العصر الحديث. لكن الجدير بالذكر أنّ مواقف الشعراء كانت تتباين تجاهه؛ فهو حيناً رائقاً محبباً، وحيناً آخر عابساً مذموماً. بل إنّ مواقف الشاعر الواحد كانت تتباين تجاهه أيضاً؛ فنجده حيناً متصالحاً معه، وحيناً آخر متخاصماً؛ وذلك يعود إلى تجربة الشاعر الحياتية الفردية والمجتمعية، إضافة إلى إحساس هذه الذات بما يكتنفها، أو إحساسها "بالأمن أو الخوف أو الضيق أو الراحة"(01). ولمّا كان الشاعر أكثر انفعالاً بمواقف الحياة من غيره، فإنه يعكس انفعاله بها، وبالزمن الذي يحتويها إيجاباً أو سلباً.

فتجلي هذه الظاهرة عند الشعراء على اختلاف اتجاهاتهم، إنما يشعرنا بالهالة التي يتمتع بها الزمن، فهو الحاضن لأحداث الحياة والمتصرف فيها خيرًا وشرًّا . وقد تجسد عند الشعراء بمظاهر عديدة، هي؛ الطلل، والمرأة، والشيب، والدهر، والليل، والموت. فمن هذه المظاهر ما ارتبط بالزمن السعيد المحبب إلى النفس؛ كالمرأة والشباب، فنوالهما يعني للشاعر الاقتراب من الحياة ؛لذا نجد الشاعر دائماً يتمنى عودتهما، ويتحسر على فراقهما، ذلك أنّ المرأة ترتبط بالحياة، بل هي الحياة ذاتها، والشباب يرتبط بالقوة والفعل والإقدام. أما المظاهر الأخرى للزمن فقد ارتبطت بالشقاء والعناء والمكابدة؛ فالطلل موت لأنه يخلو من عناصر الحياة، وهو رمز للإنسان في جدله مع الوجود الذي بات في المجهول(02).وأما الشيب فهو علامة انقضاء الشباب وتوليه، وعلامة الاتزان والحكمة، وبالتالي يتحتم على الشاعر ترك ما كان مباحاً له زمن الشباب من تصابٍ ونساء وخمر، فأصبح الشاعر محجوراً على حريته ؛لذا عدَّه بعضهم معضلة ومحنة إنسانية تنعكس آثارها في نفوس الناس جميعاً(03) .

وأمّا الدهر، فقد شكل قوة متسلطة طاغية يهابها الشعراء ويخافونها، لذلك نجد صورته عند الشعراء أنه معاند للإنسان، جالب للمصائب والويلات، ذو قوة لا تعاند. وقد تجلى ذلك أكثر ما تجلى في شعر الغزل عامة، والعذري منه خاصة، لذلك يعتبر الدهر- في نظرهم -عامل تفريق وتشتيت بين المحبين . يقول قيس بن ذريح(04) :

ألا يا غرابَ البينِ قد طرتَ بالّذي *** أُحاذرُ من لبنى فما أنتَ صانِعُ؟

فليسَ مُحِبٌّ دائماً لحبيبهِ *** ولا ثقةٌ إلا له الدهرَ فاجعُ

فالدهر لا محالة فاجع لهم، وهذا ما دعا الطفيل الغنوي لأن يخاطب الدهر قائلا(05):

يا دهرُ قوّمِ من أَخدعَيكَ فقد *** أضججتَ هذا الأنامَ من خُرقِك

فحال الدهر أنه يحول ويتغير، فلا يدوم على حال.

وأما الليل عند الشعراء، فهو "رمز من رموز العناء والمعاناة، والتوتر والتقلب، والسهر والسهاد، وظهور الألم والحزن، ذلك أنه يسامر نفسه فيه، لا أنيس معه ولا جليس"(06) . لذلك بدا الليل عند الشعراء مثقلاً بالهموم والآلام، إذ يخلو الإنسان فيه إلى نفسه يستعرض ما واجهه من غدر أو خيانة، أو حيف أو ظلم خلال ساعات نهاره، وليس امرؤ القيس، والنابغة الذبياني والأعشى وغيرهم من الشعراء عن ذلك ببعيد.

وهكذا فإنّ جُلّ صورة الزمان -بمظاهره جميعها- خير وشر، ويبدو من الطبيعي أن نجد الصورتين تشيعان وتنتشران في شعر الشاعر الواحد- تبعاً لظروفه وصروفه، فغالباً ما يرتبط الخير في الشعر بالزمن الماضي. أما الزمن الحاضر فيبدو ثقيل الظل يلقي أعباءه على كواهل الشعراء؛ وربما يعود ذلك إلى أنّ الشاعر قد أمضى أجمل فترات حياته في الشباب لا يحمل همًّاً، ولا يتفكر في مستقبل يؤول إليه، وحينما انقضت تلك الفترة بجمالياتها، وآل الشاعر إلى حاضر انقطع فيه عن كل هذه الملذات والصبوات، وانخرط في المجتمع، وأصبحت لديه طموحات وآمال حالَ المجتمع وبعض بني البشر دون تحقيقها؛ فنعت هذا الزمن بالشر والسطوة والعناد.

تمثلات الزمن في عراقيات الأبيوردي(07)

وإذا كانت هذه هي الصورة العامة للزمن، فإن الشعراء يتباينون في البواعث المؤدية إلى مثل هذه المواقف، فقد يكون الحب أو المجتمع أو السياسية أو بعض العوامل الاقتصادية كالفقر. ومن هنا فإن الباحث قد ارتأى أن يتحدث عن الزمن في عراقيات الأبيوردي، وقد قصرها على ديوانه العراقيات دون النجديات؛ ذلك أنّ العراقيّات مزيج من الأغراض الشعرية؛ من مدح، وفخر، وعقاب، وذمٍّ للزمان وأهله، فضلاً عن أنّ عراقياته تشكل "صورة تاريخية لنضاله في العيش والحياة والمجتمع والسياسة في أرض الرافدين"(08).

لذا اعتبر ممدوح حقي شعر الأبيورديّ صورة صحيحة لعصره، ومجتمعه، وآرائه، وأفكاره، وتطلعاته في القرن الخامس الهجري(09). ولعلّ سبباً آخر يقف وراء الاختيار لعراقياته دون النجديات؛ أنّ ديوان العراقيات يشتمل على ما في النجديات وزيادة، فالنجديات "مقطّعات غزلية نظمها الأبيوردي استجابة لرغبة صديقين له، هما، أبو حنش هذيماً العليمي من كلب بن وبرة وأبو المغوار سعد المضري، من جفنة بن خزيمة"(10).

فما دامت النجديات مقطعات غزلية، فإنّ من المعروف أن مقطّعات الغزل تشتمل على الشوق والحب وعذابات البعد والفراق، والتبريح للجسد، والتشوّق إلى أيام المحبوبة وهذه تشملها لوحات النسيب المرهص بها للمدح في عراقياته.

فالزمن في العراقيات قد تجلى في مظاهر ثلاثة، هي: المرأة والممدوح والشاعر. وأمام كل واحد من هذه المظاهر يقف انفعال الشاعر ليكشف عن صورة الزمن المحمودة والمذمومة إيماءً وتصريحاً.

الزمن والمرأة

تعتبر المرأة المظهر الأول للزمن في شعر الأيبوردي وخاصة المرأة الرمز التي يستهلّ بها الشاعر قصائد المديح تقليداً لسنن القصيدة، وتحقيقاً لرغبة في ذات الشاعر لتخدم معنى معيناً يريده. ولا أظن الأيبوردي من الشعراء الذين يستحضرون المرأة في مقدمات قصائدهم إلا لتشكل رمزاً وغاية يترسمها الشاعر في القصيدة لتتآلف مع العناصر الأخرى في النص .

فالمرأة بالنسبة للأيبوردي هي الماضي الجميل الذي يتشبث به، فلا يمكن الاستغناء عنه، فهو وإن تجاوزه في فترة معينة لعلةٍ طارئة حالت بينهما وأوقعت البعد والفراق، إلا أنه يتغنى به، ويتشوق له، يتخذه وسيلة لتسرية الهَم الواقع في اللحظة الحاضرة؛ لحظة الألم والضيق والجور وثقل وطأة الزمن . يقول(11):

وكم في مَحاني ذلك الجِزعِ من مهًا *** تُجاذِبُها ظِلَّ الأراكةِ غِزلانُ
يَلُذنَ، إذا رُمنَ القيامَ بِطاعةٍ *** مِنَ الخَصرِ يتلوها من الرِّدفِ عِصيانُ
ويُخجِلنَ بالأغصانِ أغصانَ بانةٍ *** وتهزأ بالكثبانِ منهنَّ كثبانُ
سقى اللهُ عصراً قصَّرَ اللَّهوُ طولَهُ *** بها، وعلينا للشَّبيبَةِ رَيعانُ
يهشُّ لذكراهُ الفؤادُ، وللهوى *** تباريحُ لا يُصغي إليهنّ سُلوانٌ
وتصبو إلى ذاك الزمانِ ، فقد مضى *** حميدًا وذُمَّت بعدَ رامةَ أزمانُ
إذ العيشُ غَضٌّ ذُلِّلَت لي قُطوفُهُ *** وَفوقَ نِجادي للذَّوائِبِ قُنوانُ
أروحُ على وَصلٍ وأغدو بِمثلِهِ *** وَوِردُ التَّصابِي لم يُكَدِّرهُ هِجرانُ

فالشاعر يتشوق إلى أيام اللهو، والمكان الذي يحتضن تلك الذكريات "رامة" ويتمنى عودتها، إذ يبدو الزمن قصيراً، وما ذاك إلَّا لأنَّ اللحظات التي كانت تمرّ تضفي عليه سعادة وهناء، فالزمن هنا نفسي والإحساس به كذلك، لذا تمر لحظاته بسرعة، فنجد فؤاده يهش لذكره دون أن يستطيع السلوُّ والهجرانُ النيلَ منه.

ولعل هذا الأثر الإيجابي الذي يصفه للزمن "حميدًا" هو انعكاس للحظات السعادة التي يحسُّ بها الشاعر، لذلك جاء بالزمن مفرداً، وجعله محموداً محبَّباً إلى نفسه . لكنه حينما يتحدث عن زمن ما بعد "رامة" فإنه يتعرض له بالذم، ويجعله مجموعاً للدلالة على أنّ هذا الزمن نفسي أيضاً والإحساس به واقعي، إذ إنَّ صفة هذا الزمن الطول؛ لأن فترة اللهو والشباب قد انقضت، وأصبح الشاعر يحس بمرارة العيش وتكدير الصفو، فأصبح

الإحساس بالزمن على قدر المعاناة، لذلك جاء بهذا الزمن مجموعاً للدلالة على كثرة تلك الأزمان بسلبياتها مقارنة بالوصال والسعادة وغضاضة العيش. فالإحساس بثقل وطأة الزمن الحاضر المعيش، جعل الشاعر يرتد بما يشبه الاسترجاع إلى الماضي، يتقوى به على اللحظة الحاضرة، فالحاضر مذموم، والماضي محمود؛ لذا يتشبث الشاعر به.

إنّ هذا الارتداد إلى الماضي، والإحساس بقصر اللحظة الماضية، يشكلان اتجاهًاً عند الأيبوردي في مقدمات قصائده. وهذا ما نجده عند غير شاعر، بل عند معظم الشعراء، يقول(12):

رَنا، وَناظِرُهُ بالسِّحرِ مُكتَحِلُ *** أَغَنُّ يُمتارُ من أَلحاظِهِ الغَزَلُ(13)
فَرحتُ أدنو بقلبٍ هاجَهُ شَجَنٌ *** وراحَ ينأَى بِخَدٍّ زانَهُ خَجَلُ
يمشي كما لاعَبَت ريحُ الصَّبا غُصُنًا *** ظَلَّت تجورُ بهِ طَوراً وَتَعتَدِلُ
ذو وَجنَةٍ إن جَنَت عينُ الرَّقيبِ بِها *** وَردَ الحياءِ كساها وَرسَهُ الوَجَلُ
كالشَّمسِ إن غابَ عنَّا فهيَ طالِعَةٌ *** وإن أطَلَّ علينا غَالَها الطَّفَلُ
نخشى عيونَ العِدا يَعتادُها شَوَسٌ *** تكادُ من وَقَداتِ الحِقدِ تشتَعِلُ
إذا انتَضَلنَا أحاديثَ الهوى عَلِقَت *** بنظرةٍ تَلِدُ البغضاءَ تَنتَضِلُ
واهاً لِعصرٍ يُعَنِّينا تذكُّرُهُ *** مضى وفي الخَطوِ من أيَّامِهِ عَجَلُ
بِمَنزِلٍ حَلَّ فيهِ الغيثُ حُبوَتَهُ *** حتَّى استَهَلَّ عليهِ عارِضٌ هَطِلُ
أَهدى لنا صِحَّةً تقوى النفوسُ بِها *** نسيمُهُ، وأثارت ضَعفَهُ العِلَلُ

فالأبيوردي يتحسر على الزمن الماضي الذي مرَّ سريعًاً، ولكن ما الأمر الذي يجعله يتحسر على ذلك الزمن؟ إن الصورة البارزة للشاعر، أنه يعرض ملمحاً من الماضي الذي يتعلق فيه بامرأة ذات جمال وبهاء، يقترب منها الشاعر ويدنو، لكنها تقابل ذلك بالبعد والنأي والخجل الذي يغطي ملامح وجهها ، لكنّ الأمر الذي بدا شاغلاً للشعراء المحبين هي عيون الرقباء المحملة بالحقد والبغض، ذلك أنهم يحولون عائقًاً بين المحبين، بل قد يتسببون بفراق بينهما.

فهذه الأمور تجعل الشاعر يتعلق بذلك الماضي، لأنه ينسجم وطبيعة النفس الإنسانية التي تتعلق بالجمال والراحة والسعادة، ثم إنّ الاستدعاء لهذه الأصوات المواقف والمشاهد الغزلية المتصابية، تجعل الشاعر يتقوّى في اللحظة الحاضرة التي أصابه فيها الضعف والهزال؛ إذ يتقوى بشيء من متعلقات الماضي وهي النسائم التي تهبُّ عليه من جهة ديار المحبوبة . وبهذا يصبح الحنين إلى الماضي "محاولة للانعتاق من وطأة الحاضر، وهو غربة عن الواقع ، فحين يشعر المرء أنّ حياته قد قست عليه، فإنّه يجد متنفسًاً بالهروب منها إلى

الماضي"(14). فواقع الأبيوردي هو واقع المعاناة ليس مع الذات الطامحة المتعالية فقط ، بل مع المجتمع والزمن الذي لم يعرف له قدراً.

فتعلق الشاعر بالمحبوبة، يجعله يعمّم هذا الحب، ليمتد إلى تلك الأماكن التي تمثل مهدًاً للذكريات وأيام اللقاء والوصال ، حيث يقول: (15):

وقد بَخِلَت سُعدَى فلا الطَّيفُ طارِقٌ *** وليسَ بِمَردودٍ إِلَيَّ سَلامِي
مِنَ الهِيفِ تَستَعدِي على لَحظِها المَها *** وَتَسلُبُ خُوطَ البانِ حسنَ قَوامِ
هوًى حالَ صرفُ الدَّهرِ بيني وبينَهُ *** أَقُدُّ لهُ الأنفاسَ وهيَ دَوامِ
وغادَرَني نِضوُ الهمومِ، يثيرُها *** غِناءُ حمامٍ أو بكاءُ غَمامِ
وأشتاقُ أيَّامَ العَقيقِ وأنثَني *** بأربعةٍ من ذِكرِهِنَّ سِجامِ
وهل أتناسى العيشَ غَضًّا كأنَّهُ *** أُعيرَ اخضِراراً في عَذارِ غُلامِ
بِأَرضٍ كأَنَّ الرَّوضَ في جَنَباتِها *** يَجُرُّ ذيولَ العَصبِ فوقَ أَكامِ
إذا صافَحَت غُدرانَهُ الرِّيحُ خِلتَها *** تُدَرِّجُ أَثراً في غِرارِ حُسامِ
ونامَ حواليها العَرارُ كأنَّها *** تُديرُ على النُّوَّارِ كأسَ مُدامِ
ومن أريَحِيَّاتي إذا اقتادَنِي الهَوى *** أفُضُّ وَإِن ساءَ العَذولُ لِجامِي
وما زالتِ الأيَّامُ تُغرِي بِنا النَّوى *** وتسحَبُ ذَيلَي شِرَّةٍ وَعُرامِ
أراها على سُعدى غَيارى كأنَّما *** بها ما بِنا من صَبوَةٍ وغَرامِ
فيا ليتَها إذ جاذَبَتني وِصالَها *** تركنَ هَواها أو حَمَلنَ سَقامِي

فهو يعيش حاضراً مثقلاً بالهموم والآلام لأنَّ الدهر حال بينه وبين محبوبته، مما أدى إلى الفرقة والبعد والقسوة في العيش، لذا أخذ يستذكر الضد الذي يتقوى به وهو المرأة، والمكان الذي كانت تقطن فيه، ويرعى الذكرى الجميلة ليسكِّن بها قلبه. ومن هنا تغدو " العلاقة بين المرأة والزمن علاقة تضاد، فالزمن يعني الحاضر والتوتر والخوف، في حين تكون المرأة الماضي والسكينة والأمن"(16). لذا سرعان ما نجد الشاعر يلوذ بالفرار إلى ذلك الماضي الذي بدت فيه جوانب الزمن رقيقة جعلته يستمتع بذلك الجمال الأخاذ، وتلك الأماكن التي أضفت على علاقتهما أجواء من المرح والسعادة.

ولكن الأمر الذي لا يستطيع الدارس أن يغض الطرف عنه هو حال الزمن المتقلب والمتحول والمتغير، إذ لا يوفّي بوعد، ولا يديم حبًّاً إلا بتشتيت وتفريق. فالأيام تغري بالمحبين النوى لتحول بينهم وبين ما يرغبون، وهذا ما يتخوف منه الشاعر وما ينتظره، لأن تلك اللحظة تشكل اللحظة الحاسمة بين السعادة وغيرها لينصرف الشاعر إلى معاناته مع الحب والبعد وهموم الحياة ومشاكلها، والانخراط في المجتمع، والكشف عما فيه من أخلاقيات

يقرها الشاعر أو ينكرها . وفي هذا كله مقارنة للحياة بوجهها الجميل الذي تمثله المرأة، ويرتبط به شباب الشاعر وقوته ولهوه، لذا نجد الشاعر يتشبث بكل متعلقات تلك المرأة (الحياة) ، فيتعلق بالمكان وأيامه فيه؛ ونجده إزاء ذلك باكياً حين يتذكر ذلك الماضي الذي انصرم فيه حبل الوصال. إذ يندب سعادة زائلة وعيشاً أخضر وصبوة شبابية.

فالمرأة لدى الشاعر هي مزيج من العناصر يضم في محلوله المكان والشباب، لذا نجد أنّ هذه العناصر كثيرًا ما تجتمع عند الشاعر في النسيب إلى حد عدم القدرة على الفصل بينها . فنجد الشاعر دائم التحسر على المرأة، والمكان الذي يحتضن الذكريات، والشباب الذي يفارقه إذا ما باعد بينهما (الزمن) . إذ يقول(17):

واهاً لأيَّامِي بِأكنافِ اللِّوى *** والدَّهرُ طَلقَ المُجتَلَى رَطبُ الثَّرى
إذ الشبابُ الغضُّ يَندَى ظِلُّهُ *** وَصَبوَتي يَعذِرُني فيها الصِّبا
وَلَمَّتِي داجيةٌ، إذا بَدَت *** سدَّت خَصاصَ الخِدرِ أحداقُ المَها(18)
ثمَّ انقضَت أزمانُهُ حميدةً *** وَمَن يُرَجِّي عودةً لِما مضى
فلا الصِّبا يَرجِعُ إذ تَصَرَّمَت *** أيَّامُهُ، ولا عَشِيَّاتُ الحِمى
ولِي حنينٌ لم تَسَعهُ أضلُعِي *** إلى اللِّوى يُذكِي تباريحَ الجَوَى
وبينَ جَنبَيَّ هَوًى أُسِرُّهُ *** ولوعةٌ تسكُنُ ألواذَ الحَشى
يا حبَّذا عصرُ اللِّوى وأَهلُهُ *** حيثُ ظِباءُ الإنسِ تَحمِيها الظُّبا
فذاك دَهرٌ لم أَجُد بأدمُعِي *** داميةً حتى تولَّى وانقضى

فحالة الاسترجاع وتمني عودة الماضي لا تكون إلا حينما تكون تلك اللحظة أجمل من الحاضر الذي يعيش، وأنقى وأعذب وأصفى؛ فيتحسر على ذلك الماضي الذي تولى حميداً طلقاً، مفعمًا بشتى صور الجمال والانتشاء النفسي. لكن هيهات لهذا الماضي أن يعود، فقد سُوِّغَ للشاعر ما لم يُسوَّغ له لحظة الحاضر؛ إذ سُوِّغ له التصابي والعشق، لا سيّما أنه شاب مقبل على اللهو، لكنه يدرك أنّ ما مضى من الزمن حميدًاً كان أم ذميمًاً لن يعود، لكنه يتلهّى بالذكرى، يعيش الماضي في لحظة خيال وتذكر، فَيَحِنّ إلى الزمن الجميل والمكان الذي تجسد فيه شبابه وماضيه ولهوه.

ويتشبث الشاعر بالمكان ويتعلق به ليس في حالة الوصال فقط ، بل حينما ترتحل المحبوبة عن ذلك المكان ليغدو طللاً دارساً، بل إنه يقدم شبيبته فداء لذلك العصر المشرق. فيقول(19):

وأَزورُ إذ ظَعَنَ الخَليطُ منازِلاً *** نَحِلَت بِهنَّ– كما نَحِلتُ -الأَرسُمُ
كم وَقفَةٍ مَيلاءَ في أثنائِها *** شوقٌ إلى طَلَلٍ بِرامَةَ يُرزِمُ

عَطَفَت رَكائبُنا إلى عَرَصاتِهِ *** وعلى الجُنينَةِ نَهجُهُنَّ المُعلَمُ
وَذَكَرتُ عصراً أسرَعَت خُطَواتُهُ *** والعيشُ أخضرُ والحوادثُ نُوَّمُ
فوددتُ أنَّ شبيبتي وَدَّعتُها *** وأقامَ ذاكَ العصرُ لا يَتَصرَّمُ

فالشاعر يتعلق بطلل المحبوبة بعد ارتحالها، ولا شك بأن مصدر هذا التعلق هو تعلقه بالمرأة التي كانت تربع في ذلك المكان، وبالتالي فإنَّ غيابها قد انعكس أثره على الشاعر الذي أصابه التحول، وعلى رسوم ذلك المكان التي أصابها ما أصاب الشاعر. ولعل الأطلال تجسد الوفاء من الشاعر والديمومة على الذكرى رغم الموت الذي خيَّم على المكان بعد ارتحال المحبوبة عنه. أمام ذلك لا يملك الشاعر إلا أن يقدم شبيبته فداء وانحيازاً لذلك العصر لعله يدوم ولا ينقضي.

هكذا، فإن المرأة عند الأبيوردي تمثل الجانب الخيِّر الحميد من الزمن، بل إنّها تمثل الحياة، لذا يغدو وجودها حياة للمكان الذي تحل فيه، وللزمان الذي تعيش فيه، ويغدو على العكس من ذلك بُعدها وفراقها وداعاً للحياة وانقطاعاً عنها، لذا نجد الشاعر دائماً يحتمي بها من وجه هذا الزمن العاثر المليء بالمنغصات والمتاعب، وكأنّه يجد بها قوة عظمى تدحر الزمن، لذا نجده يلوذ ويحتمي بها لعلها تخفف عنه أعباءَ ذلك الزمن الذي تغيَّر وجهه واربدَّ بعد فراق المحبوبة له.

الزمن والممدوح

إذا كانت المرأة هي المظهر الأول للزمن الذي ارتبط بماضي الشاعر المشرق الجميل، فإنّ الممدوح هو المظهر الثاني للزمن الذي ارتبط بالحاضر، لكن ما صورة هذا الحاضر الذي ارتبط بالممدوح، هل هو الحاضر البائس الذي يعانيه الشاعر أم الحاضر المشرق الذي يرجوه الشاعر وبنى قصائده على أساسه؟

لا شك بأن المقصود من المديح إظهار الوجه الحسن والفعل الحميد للممدوح، إضافة إلى تخليد مآثره ومناقبه؛ لذلك نجد أنّ صورة الممدوح دائماً هي الصورة المتصالحة مع الدهر، بل الصورة التي تمارس سلطة عليه، لذا نجد الشعراء دائماً يقتربون من صاحب تلك السلطة حتى يأمنوا عثرات الزمن، أو يقللوا منها ؛ لأنّ عادة الزمن التقلب، لكن بالقرب من الممدوح فإنّ الزمن يكتسب ثباتاً أو شبه ثبات؛ وتصير صورة الزمن هي الصورة المشرقة . ولعل في هذا اتساق بين صورة الزمن في مشهد النسيب، وصورته في مشهد المديح. فكلا الزمنين يشكلان ملاذاً للشاعر، لكن الأول ذكرى يحتمي بها دون أن تنفعه، لأنه يتمنى عودتها. والثاني حاضر ومستقبل قريب يسعى إليه؛ ليتخلص من وطأة اللحظة التي يعيش؛ لذا نجد

الشاعر يَغُذُّ الخُطى على ظهر مطيته،طالبًاً القرب من الممدوح، والفوز برعايته. وفي هذا قهر للزمن وانتصار عليه .

ولعل ممَّا يُصور رقة الزمن وإيجابيته في موطن المديح قوله(20):

وموقفٍ ضَجَّ جِيدِ الرِّيمِ مِن غَيَدٍ *** فيه، وأزرى بألحاظِ المَهَا كَحَلُ

زُرنا بهِ رَشَأً يَرتادُ غِرَّتَهُ *** ذو لِبدَةٍ بِنِجادِ السَّيفِ مُشتَمِلُ

يديرُ كأسَينِ من لَحظٍ وَمُبتَسَمٍ *** يُغنيهما عن حَبابٍ ثَغرُهُ الرَّتَلُ

وينثني مِشيَةَ النَّشوانِ من تَرَفٍ *** كأنَّما قَدُّهُ مِن طَرفِهِ ثَمِلُ

أزمانَ رقَّت حواشي الدَّهرِ في دُوَلٍ *** لا يَشرَئِبُّ إليها حادثٌ جَلَلُ

كأنَّها بِنَدى المُستظهِرِ ارتجَعَت *** رَوقَ الشَّبيبَةِ، حتَّى ماؤها خَضِلُ

عصرٌ كَوَردِ الخُدودِ البيضِ قد غرست *** يدُ الحياءِ به ما تجتني القُبَلُ

وعِزَّةٍ دونَ أدناها مُمَنَّعَةٌ *** ممَّا يُناجِي عليه الفَرقَدُ الوَعِلُ

فالعدلُ منتشِرٌ، والعَزمُ مُجتَمِعٌ *** والعُمرُ مُقتَبَلٌ، والرَّأيُ مُكتَهِلُ

يجسد لنا الشاعر موقفين؛ أحدهما من الماضي الذي يستند إلى اللهو والشرب واللذة خلال مشهد مجلس الندماء، والساقي الذي يتثنى نشواناً، فتبدو صورة الزمن فيه جميلة مشرقة، لأن حقيقة الشاعر في هذا الموقف أنّه يعيش بعيداً عن عين الدهر فلا يبصره؛ لذا تبدو السعادة مخيمة عليه.

أما الموقف الآخر فيتجلى بحضرة الممدوح وخيره العميم ليبدو الزمن رقيقاً في حواشيه على غير عادته لا ينفذ إليه أيّ خَطبٍ يعكّر صفوه مهما كان عظيماً، وقد استدعى ذلك في ذهن الشاعر صورة الماضي الجميل الذي يحتضن الشباب بعنفوانه وزهده؛ ذلك أنَّ هذين الزمنين متشابهان في رقتهما. لكنَّ الأمر الذي جعل هذا الحاضر رقيقًاً يتمثل في الصفات التي يتمتع بها الممدوح (المستظهر)، فضلاً عمّا أحدث في هذا المجتمع من تغيير؛ إذ يتمتع بالكرم، والعزة، والعدل، والعزم، والرأي السديد.

وهذه الصفات تصبح فاعلة في التغيير، لأنّها تتجلى أفعالاً؛ فجوده يذيب الفقر والنكد الذي يخيم على نفس الفقير، وعدله يزيل الظلم الذي يقع على رقاب العباد، فضلاً عن العزم والهمة العالية، وصغر العمر مع الرأي السديد وحسن السياسة. فكلّ ذلك كفيل بأن يجعل هذا العصر زاهراً لا يمسُّه الزمن بسوء، لذا يستثمر الشاعر التشبيه في تصويره ؛ فيجعل العصر كورد الخدود البيض، وهذا أشد الجمال، لأن الخدود إذا ما خالطتها حمرة تكون أكثر جمالاً من الخدود الصافية التي لا تعلوها حمرة. وينسجم ذلك التشبيه مع ما أحدثه المستظهر في ذلك العصر من إشراق ورقة في الحياة انعكست على المجتمع عامة.

فيغدو بذلك الممدوح بطلاً " تتجسد فيه آمال الناس ورغباتهم، وتتمثل في أعماله بطولاتهم، فيدرك بما أوتي من فاعليات وأحاسيس مطامح مجتمعه، فيحاول تحقيقها، ويسعى إلى إنجازها"(21). وهذا عين ما يسعى الممدوح إلى تحقيقه، وعين ما يرنو إليه أبناء المجتمع في حياتهم.

ولعل هذه الأمور هي التي تدفع الشاعر إلى أن يجعل الممدوح غايته ومقصده؛ لأنّ العيش في ظله يصبح وارفاً ،والحياة ليّنة طائعة. يقول مادحاً المقتدي(22):

إليكَ أميرَ المؤمنينَ رَمَت بِنا *** عُلًا تنتهي أعراقُهُنَّ إلى الياسِ
ولمَّا استقلَّت بي إلى العِزِّ همَّتي *** نقضتُ بِواديكَ المُقدَّسِ أحلاسي
فأَقلعَتِ الأيَّامُ عنّي ، وربَّما *** أطلَّت بأنيابٍ علَيَّ وأضراسِ
ولولاكَ لَم أستوهِبِ العِيسَ هبَّةً *** على طُرُقٍ تُغوي الأدِلَّاءَ أدراسِ
طَوَيتُ إلى ناديكَ كُلَّ مُبَخَّلٍ *** أبت شَولُهُ أن تَستَدِرَّ بِأبساسِ
وكنتُ أُرَجِّي الناسَ قبلَ لقائكم *** فها أنا بِعتُ الزَّبرِقانَ بِشَمَّاسِ

فغاية ما يرجوه الشاعر من عزّ ومعالٍ وهناءة عيش يتجلى في الوصول إلى الممدوح، وحطِّ رحاله في دياره، والإقامة بحضرته، لأنه حينئذ يكون آمناً من غدر الزمن وجور الدهر، وهذا ما لم يستطع أحد غيره تحقيقه، لذا استحق الممدوح هذا العناء والجهد، ومكابدة الطريق، ومخاطرة الشاعر وناقته حينما عزم على الارتحال إليه.

ولعل ما يجده المادحون من خير بحضرة الممدوح، وصرفٍ لعوادي الزمن، جعلهم ينسلخون عن أوطانهم رغم حبهم لها، فلا يتذكرونها. فيقول مادحاً سيف الدولة صدقة بن دبيس(23):

أيا خيرَ مَن يتلوهُ في غَزَواتِهِ *** على ثِقَةٍ بالشَّبعِ، نَسرٌ وسِرحانُ
دَعَوتُكَ للجُلَّى فَكَفكَفَ غَربَها *** هُمامٌ، أياديهِ على الدَّهرِ أعوانُ
رفعتُ لِصحبِي ضَوءَ نارٍ عَتيقَةٍ *** بها يهتدي السَّارونَ والنَّجمُ حيرانُ
وفاءَ عليهم ظِلَّ دَوحتِكَ الَّتي *** تُناصِي السُّها منها فُروعٌ وأفنانُ
فلم يذكروا الأوطانَ وهيَ حبيبةٌ *** إليهم ولا ضاقَت على العِيس أعطانُ(24)

إذ يصف الممدوح بالشجاعة وقوة البأس. وتتمثل هذه القوة في المواقف العظيمة التي تستدعي قائداً فذًّا يفتك بالأعداء، ويدفع عوادي الدهر، ويحقق السكينة لشعبه. ولعل هذه الصفات الحميدة إضافة إلى الكرم الذي يتمتع به الممدوح قد استهوت أولئك الأصحاب وأغرتهم بالمقام عنده معرضين عن أوطانهم. وهذا يدلّ على أنّ الزمن بحضرته في حالة سكون وهدوء وتصالح.

ولعل هذه القدرة التي بلغها الممدوح في التصالح مع الزمن بالأفعال الحميدة والصفات التي يتمتع بها، جعلت الأضداد تتوافق. فنجده يقول في مدح صديق له(25):

ولولاكَ ما أَوهَى قُوَى الفِكرِ مادحٌ *** ولا افتَرَّ عن بيتٍ من الشِّعرِ هاجسُ

رَعَيتَ ذِمامَ الدِّينِ بالعدلِ بعدَما *** أُضِيعَ ولم يَحمِ الرَّعِيَّةَ سائِسُ

فَظَلَّ يَمُرُّ السَّخلُ بالذِّئبِ آمنًا *** ولا تَرهَبُ الأُسدَ الظِّباءُ الكوانِسُ

فقد بلغ الممدوح حدًّا من العدل أفنى الخوف من الضعيف ومنَعَ القوي من الاعتداء، فالذئب الذي يأكل السّخل لم تعد لديه سلطة عليه، لذا أصبح السّخل يمرُّ آمنًا، والظباء لا تهاب الأسود، وهذا كله نتاج العدل الذي أقامه الممدوح فعممه على الإنسان والحيوان. فالكل قانع بما لديه، عارف ما عليه.

وقد بلغ الممدوح عند الأبيورديّ حدًّاً في تصالحه مع الزمن لم يصل إليه غيره من الممدوحين، إذ نجد الدهر يثني عليه. يقول(26):

اللهُ يعلمُ والأقوامُ أنَّ لَكُم *** عندَ الفَخارِ لِساناً غيرَ لجلاجِ

والدَّهرُ يُثني بما نُثني عَليكَ بِهِ *** وما بِمُطرِيكَ من عِيٍّ وإرتاجِ

وَقَد أَغَذَّ إليكَ العيدُ مُغترِفاً *** من ذي فُروغٍ مُلِثِّ الوَدقِ ثَجَّاجِ(27)

وكلُّ أيَّامكَ الأعيادُ ضاحكةً *** عن روضَةٍ جادَها الوَسمِيُّ مِهياجُ

فأرعِ سمعَكَ شِعراً يَستَلِذُّ بِهِ *** رجعُ الغِناءِ بأرمالٍ وأهزاجِ

فالثناء على الممدوح قد عُمِّمَ ولم يَعُد حِكراً على أبناء المجتمع، بل أصبح الدهر متأثراً بهذا الثناء يلهج به. ولم يكن ذلك لولا أنّ الممدوح قد استحق هذا الثناء بالخير الذي عمَّمَه حتى أنَّ العيد قد أقبل عليه مليئاً بالخير والفرح والسرور. وهذا لم يكن مقتصراً على يوم العيد فقط، بل إنّ أيّامه كلها أصبحت أعياداً؛ لذا استحق شعراً يُمدَح به، ويعكس الفرح والسعادة على قلوب أبناء المجتمع.

وهكذا، فإنّ الزّمن في ظلّ الممدوح قد بدا باسماً ضاحكاً ذا وجه مشرق وقسمات خيّرة، فاستحقَّ من الشاعر مثل هذا السعي الدؤوب للوصول إليه؛ لأنه وجد فيه العنصر الإنساني الوحيد الذي يخلصه من الزمن وبطشه وعثراته(28). لأنه يمتلك قوة -حسب رأي الشاعر- وقدرة، وحنكة، وسياسة تجعله يذلّل الزمن، ليصبح جنداً من جنوده يتصرف به كيفما يشاء. ولعل هذا هو السبب الذي حدا بشعراء المديح إلى التقرب من الممدوح ونيل حظوته ورضاه وإعجابه.

وبهذا يتشكل لنا رباط وثيق بين المرأة في النسيب والممدوح، فالاثنان متصالحان مع الزمن، لكنّ ذاك زمن يستمر لفترة وينقضي فلا يتصف بالديمومة، لذا يتحسر عليه الشاعر

ويتمنى عودته، وحينما لم يستطع إلى ذلك سبيلاً، نجده يعيش الحاضر بآلامه وويلاته وكدّه وعنائه، ليتجه إلى قوة أكبر من قوته ومن الزمن يجد عندها السلوى، فيتشبث بالوصول إليها والإقامة بحضرتها، ليجد السعادة المسلوبة قد استعيدت بثوب الحاضر وبثوب العدل والخير في كنف الممدوح لا المحبوبة؛ إذ يجد الزمن عنده مشرقاً، ولعل هذا الإشراق غير زائلٍ كما كان عند المحبوبة، بل إنَّه يتصف بالديمومة أو شبهها.

الزمن والشاعر

إنَ الحديث عن الشاعر وارتباطه بالزمن، يجلّي لنا الموقف الشخصي والشعري من الزمن، ويجسد نفس الشاعر الراضية أو الغاضبة عليه، لذا فالشاعر يجسد المظهر الأبرز للزمن خلال الشعر الذي يتعرض به للحديث عنه، لا سيّما وأنّ الأبيورديّ " كبير النفس، عظيم الهمة، لم يسأل أحداً قط مع الحاجة والمضايقة"(29) ؛ ولم يكن يتكسب بشعره طالباً المال رغم فقره. حيث يقول(30):

فإن أَمدَح إماماً أَو هُماماً *** فلا جاهاً أَرومُ ولا نَوالا

فإذا كان الشاعر لا يطلب الغنى والمال من الممدوح فما الذي يريده ؟ إنّ ما يريده هو المكانة العالية والمنصب الذي يتلاءم مع طموحه. فيقول(31):

أَبغي عُلاً رامَها جَدّي فأدرَكَها *** وكان في غَمرَةِ الهَيجاءِ يَنغَمِسُ

فهو يسير على خطى أجداده وأبيه الذين شغلوا مناصب سياسية واجتماعية مرموقة، ويؤكد ذلك في قوله(32):

وأقتَفِي حينَ أَرومُ العُلا *** آثارَ آباءٍ مناجيبِ

ويزداد الأمر وضوحاً وترسيخاً حين يقول على لسان جاره الذي يلومه على ترك الغنى والتشبث بالعلا غايته ومقصده(33):

لَحاني على تَركِ الغِنَى، ومُعَرِّسِي *** جَديبٌ، وَجَاري ضَارِعُ الخَدِّ بائسُ

فَقُلتُ له إنَّ العُلا مِن مَآرِبِي *** وما ليَ عنها غيرَ عُدمِيَ حابِسُ

فهو يضعنا بصورة الفقر الذي يعانيه. فبيّنَ أنّ غايته تتجلى في العلا، لكنَّ الفقر غدا حائلًا دون تحقيقه. فقيم المجتمع تغيرت، ولم تَعُد الرئاسة والمكانة لصاحب القدرة والكفاية، بل لصاحب المال؛ لذا نجده يتبرم بهذا المجتمع وهذا الزمان الذي يتقلب ويتحول دون أن ينصف الشاعر أو يعرف له قدرًا. فيقول(34):

لَم يعرِفِ الدَّهرُ قَدرِي حينَ ضَيَّعَنِي *** وكيفَ يَعرِفُ قَدرَ اللُّؤلُؤِ الصَّدَفُ!

أمام هذه الظروف التي بسطها الشاعر في عراقيّاته، وهذه المطامح التي شكلت له هاجساً يطلبه ويسعى إليه، لا يملك إلَّا أن يكون له موقفاً خاصاً من الزمن، يختلف عن

موقفه من المرأة (الصبا والشباب) وعن الممدوح (الغاية والمقصد)، فيبدو ساخطاً ناقماً على الزمن الذي لا يعرف للإنصاف طريقاً،فيقول(35):

أَرُوحُ بِأَشجانٍ على مِثلِها أَغدُو *** فحتَّى مَتَى يُزري بِيَ الزَّمَنُ الوَغدُ؟
أَفِي كُلِّ يَومٍ دولةٌ مُستَجِدَّةٌ *** يَذِلُّ بِها حُرٌّ ويسمو لها عَبدُ
إذا أقبَلَت ألقَت على الذَّمِّ بَركَها *** وإن أدبَرَت لم يَتلُ أربابَها الحَمدُ
فَذُو النَّقصِ في عيشٍ وَرِيقٍ غُصونُهُ *** وليس لِذي فضلٍ بها عِيشَةٌ رَغدُ
أيا دَهرُ كفكِف من جِماحِكَ إنَّني *** إذا الخَطبُ أَمهَى نابَهُ أَسَدٌ وِردُ
ولستُ أَشيمُ البَرقَ فَليَدعُ للحَيا *** سوايَ ولا يَرفَع عَقيرَتَهُ الرَّعدُ
وَتَخطِرُ أحياناً بِبَالِي مَطامِعٌ *** فَيَمنَعُ عِرضِي أن يُلابِسَها المَجدُ
تَبِعتُ أضاليلَ المُنى في شَبيبَتي *** فَحَلَّ مَشيبِي وهيَ تَخدَعُنِي بَعدُ

فشأن الزمن الظلم والطغيان، وعدم إيفاء الحقوق؛ فالحر مذلول، والعبد سامٍ، وذو النقص في عيش غضٍّ وارف، وذو الفضل في ضيق ومشقة. أمّا في إطار الدول والشعوب فإن المجتمع يسود فيه الرياء والمجاملة، فإذا ما سادت دولة وحكمت، فإنّ الشعوب تقابل هذا الظلم بالسكوت، وإذا ما أدبرت انطلقت ألسنتهم بالذم والشتيمة . وأمام كل هذا نجده يخاطب الدهر طالباً منه الغض من جماحه وسطوته لأنه يقابل أسداً هصوراً يواجه المصاعب بصبر وحزم.

ويؤكد الشاعر هذه الطبيعة غير العادلة للزمن، وهذا الوجه البائس بقوله(36):

ولولا نَوشَةُ الأَيَّامِ مِنِّي *** لَمَا نَعِمَ اللِّئامُ لَدَيَّ بالا
ولكنِّي مُنيتُ بِدَهرِ سَوءٍ *** هُوَ الدَّاءُ الذي يُدعَى عُضالا
يُقدِّمُ مَن يَنالُ النَّقصُ مِنهُ *** ويَحرِمُ كُلَّ مَن رُزِقَ الكَمالا

فصفة السوء التي ينسبها إلى الدهر قد أصبحت طبيعة فيه لا يفارقها؛ لذلك شبهه بالداء العضال الذي لا شفاء منه.

وهذه الطبيعة القائمة على اللامساواة، وعدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وعلى تقديم الناقص من الرجال، وحرمان الرجل صاحب القدرة والحنكة والسياسة والخلق والدين من نيل المكان والمنصب الملائم له- لم تقتصر على شعر الأيبوردي، بل إنّ هذه هي صورة الزمن البارزة في الشعر الذي يسعى صاحبه إلى السلطة، والمرتبطة بالقوة والتسلط والجبروت والظلم والسوء والموت والفناء.

ولعل موقف الشاعر من الدهر، قد ارتبط بالدهر نفسه بسبب تقلبه وتحوله من جهة، وبالإنسان الذي يعيش في ذلك الدهر من جهة أخرى، إذ يعكس الإنسان قدراً من

الارتياح النفسي أو عدمه بأفعاله وتصرفاته؛ فنجد الإنسان الذي يعيش في مجتمع الأيبوردي، يعكس صورة سوداوية بأفعاله وأخلاقه وأقواله وصفاته تنعكس على نفس الشاعر أولاً، وعلى موقفه من الإنسان والزمن. يقول(37):

مَجدٌ على هامَةِ العَيُّوقِ مَرفُوعُ *** راقَ الوَرَى منهُ مَرئِيٌّ ومسموعُ
وسُؤدَدٍ لم يَجُبَّ الدَّهرُ غارِبَهُ *** وغيرُهُ في نَدِيِّ الحَيِّ مدفوعُ
طرفُ الحسودِ غَضيضٌ دونَ غايَتِهِ *** وَسِنُّهُ بِبَنانِ العَجزِ مقروعُ
وَقَد وَرِثناهُمَا غُرًّا جَحاجِحَةً *** أَريبُهُم في النَّدَى بِالحَمدِ مَخدوعُ
لكنّنَا في زمانٍ ليتَ دابِرَه *** بِما يَشُقُّ على الأَوغادِ مَقطوعُ
غاضَ الكرامُ كما فاضَ اللِّئامُ بِهِ *** فالخيرُ مُجتَنَبٌ والشرُّ مَتبوعُ
وما لَهُم نَسَبٌ لكن لَهم نَشَبٌ *** وكلُّ لُؤمٍ بهِ في النَّاسِ مَرقوعُ
وهل يضُرُّهُم أن ليسَ عَمَّهُمُ *** عَمرُو العُلا هاشمٌ والخالَ يَربوعُ
وهم شِباعٌ رِواءٌ في الغِنى، ولنا *** أحسابُ آلِ أبي سُفيانَ والجوعُ

فالشاعر يعقد مقارنة بين زمنين: زمنٍ ماضٍ ارتبط بآبائه وأجداده، فكانوا أصحاب مجد وسيادة ورثها الشاعر، فلم يستطع الدهر أن ينال منهم، وبقي طرف الحسود قاصراً عما يريد ويقصد. أما الزمن الحاضر الذي يعايشه الشاعر، ويدرك ما فيه من تحولات، فقد انسلخ عن المجد، وعجّ بالمتضادات والمتناقضات؛ فقد احتل اللئام فيه مكان الكرام، وأصبح الخير فيه مُجتنَب والشر متبوع، ولم يعد يغري أبناء المجتمع النسب الشريف بل المال، فلم يعبأوا بأن تكون لهم أصول شريفة يتباهون بها؛ لذلك امتلكوا المال وأصبحوا أغنياء، بينما أصبح صاحب المجد ومن يبحث عنه فقيراً يتمسك بسنن الآباء والأجداد.

فهذا التباين والتغاير في سنن المجتمع، هما اللذان أرهقا الشاعر وألحَّا عليه؛ لذا كثيراً ما نجده يتحدث عن أبناء المجتمع وصفاتهم في معرض النقد، ويتحدث أيضاً عن عشوائية الدهر مُعَرِّضاً بأناسٍ قدمهم الدهر، فيقول(38):

أَرِقنَا وأسرابُ النُّجومِ هُجوعُ *** نعالِجُ هَمًّا أضمَرَتهُ ضُلوعُ
ونُعرِضُ عن بِيضٍ تُديرُ وراءَنا *** عيونَ مهًا فيها دمٌ ودموعُ
ونَنهضُ للعلياءِ والجِدُّ عاثِرٌ *** ونحنُ بِمُستَنِّ الهوانِ وقوعُ
وهل ترفعُ الأيَّامُ إلّا عِصابةً *** عَفَت بِهِم للمَكرُماتِ رُبوعُ
لهم ثروةٌ يَمتَدُّ في اللُّؤمِ باعُها *** حواها نَعامٌ في النَّعيمِ رَتوعُ
إذا شَبِعُوا باتوا نِياماً وَجارُهُم *** يُصارِعُ جَفنَيهِ الكَرَى ويَجوعُ
شَكَت عُقَبَ المَسرَى مَطايا تَؤُمُّهُم *** وَتَدرَعُ أجوازَ الفَلَا وَتَبوعُ

فلا زِلنَ حَسرَى لِم حَمَلنَ إليهمُ *** فتًى لا يُناغِي ناظرَيهِ خُشُوعُ
وهُم نَفَضُ الآفاقِ قد خَبُثَت لَهُم *** أُصولٌ فما طابَت لَهُنَّ فُروعُ
إذا زارَ مَغناهُم كَريمٌ فما له *** إليهم إذا حُمَّ الفراقُ رُجوعُ

فالهم الذي يشغل الشاعر هو الوصول إلى المجد والعلياء، فيعرض عن كل ما يحول دون هدفه وغايته؛ لذا نجده يتفكر في غايته، وفيما تفعله الأيام وتتصرف فيه؛ إذ إنَّها تُعرض عن أصحاب الهمم العالية، والغايات النبيلة، والأخلاق السامية، إلى أناس لا ينتمون إلى المكرمات بشيء؛ إذ يملكون الأموال الطائلة التي أصبحت بُغيتهم، وينفقونها في اللؤم والفجور دون أن يراعوا فيها حق فقير أو جائع.

ونجد أنّ الشكوى من هؤلاء لا تقتصر على الشاعر وحده، بل تمتد إلى عالم الحيوان؛ فالمطايا التي تؤمُّهُم حسرى على حملها لذلك الفتى إليهم؛ لأنهم ليسوا مقصدَ سائلٍ ولا مستغيث وملهوف.

فتوجع الشاعر من أناس ذلك الزمان وصروفه وتدابيره جعله يكرر الشكوى ويبسطها في معظم قصائده ومقطوعات ديوانه، يقول(39):

ولولا التُّقَى لم أَترُكِ البِيضَ كالدُّمَى *** وإن ظُلِّلَت بالمُرهَفاتِ حِجالُ
وإنّي لَأُثنِي النَّفسَ عَمَّا تُريدُهُ *** إذا كانَ في العُقبَى عَلَيَّ مَقالُ
ولا أَرتضي خِلًّا يدومُ وِدادُهُ *** على طَمَعٍ ما دامَ عِندِيَ مالُ
أرى النَّاسَ أتباعَ الغِنى وَلِمَن نَبا *** به الدَّهرُ منهم ضَجرَةٌ وَمَلالُ
إذا ما استفدتَ المالَ مالوا بِوُدِّهِم *** إليكَ وحالوا إن تغيَّرَ حالُ

فالشاعر يحافظ على مبدأ ثابت عنده لا يتحول عنه ولا يحيد؛ وهو أنه لا يفعل شيئاً يجرُّ عليه مقالاً وشتيمة من الناس؛ لذا نجده ينظر إلى أبناء مجتمعه نظرة استغراب واستهجان؛ فينكر الصداقة التي لا يراد منها غير ذاتها، كالصداقة للطمع في مال.

وهذا الأمر هو الذي هيمن على الشاعر وإحساساته، فالمجتمع قد تخلى عن القيم والمثل النبيلة إلى السعي وراء الدنيا والمال الذي أصبح غايتهم ومقصدهم، وعنوان حبهم وصداقتهم.

فالأمر الذي يخيم على نفس الشاعر، ويلح عليه، ويقلقه، هو كيف يبلغ المنى مَن لا يستحق، ويبقى الكريم خائباً؟ فيقول(40):

وَمِن نَكَدِ الأيَّامِ أن يَبلُغَ المُنَى *** أخو اللُّؤمِ فيها والكريمُ يَخيبُ
سأَطلُبُ عِزَّ الدَّهرِ ما دامَ ضافِياً *** عَلَيَّ رِداءٌ لِلشَّبابِ قَشيبُ
ولي هِمَّةٌ تأبَى مُقامِي على الأَذى *** ضجيعَ الهُوَينَى ما أقامَ عَسيبُ

فالشاعر عالي الهمة، ثابت على غايته في شبابه، لا يحيده عنها تقلب زمان أو ظلم وقهر. ولعل هذا قد جاء من إحساس بقيمة الذات، وقدرتها وفاعليتها وعجبها وكبريائها، " وذلك مستمد فيما نحسب من علوّ نسبه"(41).

ومما أثار حفيظة الشاعر، أنّ هذه الصفات لم تعد مرتبطة بعامة أبناء المجتمع وحدهم، بل وجدها تتجلى أيضاً في أصدقائه، يقول(42):

فَسَدَ الزَّمانُ فَلَيسَ يَأمَنُ ظُلمَهُ *** أهلُ النُّهَى، وَبَنُوهُ منهُ أَظلَمُ
أينَ التفَتَّ رأيتَ منهم أَوجُهاً *** يَشقَى بِهِنَّ النَّاظِرُ المُتوَسِّمُ
وَأَضَرُّهُم لَكَ حينَ يُعضِلُ حادثٌ *** بِالمَرءِ مَن هُوَ في الصَّداقَةِ أَقدَمُ
وَمَتى أَسأتَ إليهمُ وَخَبَرتَهُم *** أَلفَيتَ بَعدَ إِساءَةٍ لا تَندَمُ
نَبَذُوا الوفاءَ معَ الحياءِ وَراءَهُم *** فَهُمُ بِحيثُ يكونُ هذا الدِّرهَمُ
وَعَذَرتُ كُلَّ مُكاشِحٍ أُبلَى بِهِ *** فَبَلِيَّتِي مِمَّن أُصاحِبُ أَعظَمُ
مَذِقُ الوِدادِ، فَوَجهُهُ مُتَهَلِّلٌ *** لِكيدَةٍ، وَضَميرُهُ مُتَجَهِّمُ
يُبدِي الهَوَى وَيَسوءُ ، إن عُرِضَت لَهُ *** فُرَصٌ عَلَيَّ ، كما يَسورُ الأرقَمُ
وَيَرومُ نَيلَ المكرُماتِ ودونَه *** أَمَدٌ بِهِ انتَعَلَ النَّجيعَ المَنسِمُ

فحالهم حال أبناء المجتمع، وظلمهم لا يقل عن ظلم الزمان وفتكه، فالكل سواء في الظلم، وكل ما يحيط بالشاعر يشعره بذلك؛ لأنّ هذا الحال عام منتشر، فوجوههم لا تشعرك بارتياح، بل بشقاء، غير أوفياء للصديق، بل أسرع الناس إليه في الضرر، نبذوا الوفاء وحالوا عنه حيث الدرهم والدينار، يظهر لك الحب والوداد وضميره متجهم بالحقد والخداع، ينتقي من اللحظات أشدها فتكاً لينال من صديقه فيروغ منه كالأفعى. أمام ذلك كله يبدو الشاعر قد سَوَّغَ الإساءة بحقهم غير نادم على ذلك، وأصبح يستسيغ كل إساءة تصدر عن غيرهم؛ لأن البلاء الأعظم هو ما يصدر عن الصديق من ضرر ومكائد، وهذه هي الطامة الكبرى.

وهذه الشكوى التي صدرت من الشاعر عن أصدقائه ناتجة عن خبرة فيهم ومواقف تثبت ذلك؛ فقد عانى من الحساد كثيراً وخاصة أقرباءه؛ إذ " مات والده في عنفوان لهوه وشبابه، ودافعه عن الرئاسة بعده قوم من عشيرته اتهموه بهجنته وأعجميته ففازوا عليه، ولم ينصره أهله الأدنون ... وكان هذا الإخفاق مبدأ مركب النقص الذي دفعه للعمل والجهد طوال حياته كي يسد خلله ويرقع وهيه"(43)؛ لذلك نجد الشاعر- دائماً- يشير إلى أنّ أصحاب هذه الصفات من الأصدقاء وأبناء المجتمع عموماً نالوا المناصب العليا في الدولة، ونالوا

الحظوة والمال رغم تخلّيهم عن القيم الأخلاقية. ومن هنا فإنّ الشاعر قد ألح على أبرز صفات هؤلاء الناس من أصدقاء وغيرهم، وأظهر اغترابه عنهم. يقول(44):

أَسَمراءُ عَهدِي بِالخُطوبِ قَريبُ *** وَعُودِي بِأَيدي النَّائِباتِ صَليبُ
وَكُلُّ خَليلٍ كُنتُ أَرقُبُ عَطفَهُ *** تَوَلَّى بِذَمٍّ ، والزَّمانُ مُريبُ
وَقَد كُنتُ أُصفِيهِ المَوَدَّةِ والظُّبَا *** على الهامِ تبدو مَرَّةً وَتَغيبُ
نأى عامرٌ، لا قَرَّبَ اللهُ دارَهُ *** وآواهُ رَبعٌ بالغُمَيرِ جَديبُ
رأى مُستَقَرَّ السَّمعِ مِن أُمِّ رأسِهِ *** يَصَمُّ وأُدعَى للعُلا فَأُجيبُ
يُعَيِّرُني أنّي غَريبٌ بِأَرضِهِ *** أَجَل أَنا في هذا الأَنامِ غَريبُ
وَيُظهِرُ لي نُصحاً وَلِلغِلِّ تَحتَهُ *** دواعٍ بِكِلتا مُقلَتَيهِ تُهيبُ
وَيَرتادُ مِنّي أن أَضُمَّ على القَذَى *** جُفوني، وهل يرضَى الهوانَ أَريبُ؟
وَكَفّي بِهَزِّ المَشرَفِيِّ لَبيقَةٌ *** وباعي بِتَصريفِ القناةِ رَحيبُ

لقد أحسَّ الشاعر بالبرود في المشاعر والجفاء من المجتمع رغم إخلاصه ووفائه ومواقفه البطولية، فهو ينظر إلى المجتمع وإلى نفسه، فيجد البون واسعاً بينهما؛ فيعقد مقارنة بين حاله وحالهم، ومواقفه ومواقفهم، وأخلاقه وأخلاقهم، وكأنه يريد أن يوثق صفاته الخلقية والبطولية التي يستحق عليها الاحترام، ونيل المكانة الرفيعة التي يستحقها من الممدوح، فممَّا جاء في سلوكه أنّه " كان حسن السيرة جميل الأثر له معاملة صحيحة" (45) ويؤكد ذلك الحموي فيقول: " كان حسن السيرة جميل الأمر منظرانيًّا من الرجال"(46). ولعله قد وثق ذلك شعراً؛ فهو صافي المودة، وَفِيٌّ لأصدقائه حتى وقت الشدائد وساحات الحروب، يطمح إلى العلياء فيجيب نداءها، لا يقبل الذل والهوان من صغير أو كبير، فضلاً عن أنه قائد فذٌّ، وقرّاع حروب؛ إذ يمثل الشخصية العربية أصدق تمثيل "بما اشتملت عليه من إباء وترفّع بما يزري بمروءة الرجل وكماله، ويمثل رموز العرب الضاربة بعروقها في المجد، والمتخلقة بأخلاقهم الحميدة وخصالهم الرشيدة"(47).

وأمّا أصدقاؤه فلم يخلصوا لأصدقائهم رغم الأيادي البيضاء التي مُدَّت إليهم في الليالي السوداء؛ لذلك تعرضوا للذَّمِ. فهم يصمُّون أسماعهم عن نداء العُلا، يظهرون النصح ويبطنون الغِلَّ والخداع، ويقبلون الهوان ويستسيغونه لنيل المآرب؛ لذلك أحسّ الشاعر بالاغتراب والهوة السحيقة التي لا يرأب صدعها بينه وبينهم. فتمنَّى صاحباً يماثله في صفاته، صافياً في مودته يعدُّ الغنى في الشجاعة والحروب لا في المال فيقول(48):

فَمَن لِي على غَيِّ التَّمَنِّي بِصاحِبٍ *** سليمِ نواحي الصَّدرِ لا يحمِلُ الحِقدا
يَعُدُّ الغِنَى فَضفاضةً ذاتَ رَفرَفٍ *** وَصَمصامَةً عَضباً وذا خُصَلٍ نَهدا(49)

ولولا افتراشُ الذِّئبِ للغدرِ صَدرَهُ *** لما كنتُ أتلو في مَطالِبِها الأُسدا

فهو يتمنى صديقاً بهذه الصفات، ولعل التمني يفيد عدم الوجود والتحقق، وانتفاء هذه الصفات من أبناء مجتمعه وأصدقائه؛ لذلك نفض يديه من هذه الدنيا وأهلها، فلست " تظفر فيها بكريم فتفرّ إليه من زمن لئيم، وتجد عنده الطّول، والإحسان"(50) فقال(51):

طويتُ رَجائي عنكَ يا دهرُ إنَّني *** أَلوذُ بِظِلٍّ مِن وَفائِكَ قالِصِ

وَيَرميكَ ذَمّي بالَّتي لا شَوَى لَها *** وليسَ يسوءُ الوَغدَ لَذعُ القَوارِصِ(52)

وَكُلُّ كَريمٍ أَنتَ آخرُ رِزقِهِ *** على عُقَبِ الحِرمانِ أَوَّلُ ناكِصِ

تَهيمُ بِمَنفيِّ السُّحالَةِ زائفٌ *** وَتُعرِضُ عن صافي السَّبيكَةِ خالصِ

فَلَم تَعلَقِ البأساءُ إلَّا بِكامِلٍ *** ولا عَثَرَ النَّعماءُ إلَّا بناقِصِ

فقد طوى الشاعر رجاءه من الدهر، وذمَّه لأنه يسير على غير هدًى، بل ضلال وتيه؛ إذ يجود على اللئيم والناقص الدّعي ويحرم الشريف الكامل، وهذا شأنه وديدنه، وهو ما لم ينل إعجاب الشاعر لأنه صاحب غاية نبيلة وطموح يطال عنان السماء، وصاحب نسب عالٍ لا يرتضي أن يتنزل عنه، فقد كان والده "زعيماً فاهماً مجتمعه حق الفهم، ويعدُّ نفسه لرئاسة عتيدة ما لبثت الأيام أن حققتها له"(53). فيقول مفتخراً بأبيه وأخواله(54):

فَأينَ مِثلُ أَبي في العُربِ قاطِبَةً *** وَمَن كَخالِي في صَيَّابَةِ العَجَمِ

ويزيد ذلك الفخر افتخاراً بأخواله وأعمامه فيقول(55):

فَخالِي رَفيعُ السَّمكِ في العُجمِ بيتُهُ *** وَعَمّي لَهُ جُرثومَةِ المَجدِ في العُربِ

وزيادة على ذلك فقد لقب الشاعر ألقاباً تدل على فضله وحسن سيرته وريادته، فلُقِّب بـ " فخر الرؤساء وأفضل الدولة، وجمال العرب، وتاج خراسان، ولا ينادى لهيبته إلا بمولانا"(56). هذا فضلاً عن تقدمه في ميادين العلوم والثقافة والأنساب؛ فقد كان " فاضلاً في العربية والعلوم الأدبية نسّابة ليس مثله"(57). ومما جاء فيه أيضاً تأكيداً لذلك، أنه كان " حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، متصرف في فنون جمَّة من العلوم، عارف بأنساب العرب، فصيح الكلام حاذق في تصنيف الكتب، وافر العقل، كامل الفضل، فريد دهره ووحيد عصره"(58). ولعل من يتمتع بهذه الصفات جدير بأن ينظر إليه المجتمع بعين الرفعة والاحترام ونيل المكان المناسب في الدولة، لكنّه قوبِلَ بالدسائس والمؤامرات وخاصة من أصحاب الغنى والحظوة عند الرؤساء؛ فقد أُهدِرَ دمه من المستظهر بالله بسبب وشاية عميد الدولة بن منوجهر(59) ثم عفا عنه ومات مسموماً في بلاط محمد بن ملكشاه(60). أمام هذا النسب الرفيع وهذه المكانة العلمية البارزة، نجد الأيبوردي يعاني من ظلم مجتمعي جعله يذم الزمان وأهله؛ لأنهم كما وصفهم في رسالته "عن سنن الحق ناكبون، ولأهوائهم في

عمايتهم راكبون"(61) فهو لا ينقصه نسب شريف ولا علم وثقافة، إنما ينقصه المال والغنى، وهو ما يتشبث به أبناء المجتمع؛ لذلك يفخر بنسبه ونفسه، ويبين الأسباب التي حالت دون وصوله إلى غايته، فيقول(62):

وَمُتَّشِحٍ باللُّؤمِ جاذَبَنِي العُلا *** فَقَدَّمَهُ يُسرٌ وأَخَّرَنِي عُسرُ
وَطَوَّقتُ أَعناقَ المَقاديرِ ما أَتَى *** بِهِ الدَّهرُ حتَّى ذَلَّ لِلعَجُزِ الصَّدرُ
وَلَو نِيلَتِ الأرزاقُ بالفضلِ والحِجَى *** لَمَا كانَ يَرجو أن يَثُوبَ لَهُ وَفرُ
فيا نفسُ صَبراً إنَّ لِلهَمِّ فُرجَةً *** وما لكِ إلَّا العِزُّ عِندِي أَو القَبر
وَلِي حَسَبٌ يَستَوعِبُ الأَرضَ ذِكرُهُ *** على العُدمِ والأحسابِ يَدفِنُها الفقرُ

فالحسب والنسب لا قيمة لهما في مجتمع الأيبوردي، بل تبقى النظرة المادية النفعية هي المهيمنة والمسيطرة، ويبقى المال هو ميزان المفاضلة بين رجل وآخر؛ إذ يقدم اللئيم ويؤخر الكريم؛ لذلك يدعو نفسه إلى الصبر؛ لأنها لا ترضى الذل والهوان، ولا أن تنزل عن قيمتها وعليائها؛ لأنَّ هذا ممّا لم يعتد عليه. يقول: (63):

ولولا انتكاسُ الدَّهرِ زِينَت أَسِرَّةٌ *** بِنا حيثُ ألقَينا العَصا، وَمَنابِرُ
وَنَحنُ سَراةُ النَّاسِ في كُلِّ مَوطِنٍ *** فلا تُلزِمينا ما جَنَتهُ المَقادِرُ
وَلَلفَقرُ خَيرٌ مِن غِنًى فِي مَذَلَّةٍ *** إذا أَخَذَت مِنَّا الجُدودُ العواثِرُ
وعاداتُنا ألَّا نَرومَ سِوى العُلا *** وأُمُّ المَعالِي في زَمانِكِ عاقِرُ

فهو يعتبر الدهر قد أصيب بالنكسة والجنون والتخبط، فَضَلّ الطريق وسار على غير هدى؛ لذلك أغمض عينيه عن مَن يصلحون لأن يكونوا سادة (أي قوم الشاعر)، لكنّ المعالي في زمانه عاقر لا تنجب، ولا تمنح العلياء لمن يصلح لها ويطلبها، بل تمنحها لمن لا يستحقها، بسبب الغنى وميله للذل؛ لذلك نرى الشاعر يحافظ على مبادئه في عزة النفس والكبرياء فيرفض الغنى مع الذل، ويتشبث بالفقر حيث العزة والنسب.

وقد فسّر بعض النقاد موقف الأبيورديّ من الزمن والناس بالاستعلاء(64) ، فقد يكون الاستعلاء واحداً من الأسباب التي أدت إلى شكواه من الزمن والناس، لكنّ هذا الاستعلاء والكبرياء الذي ظهر في شعره يعود إلى النسب الرفيع الذي انحدر منه، ثم همته وعليائه وكبريائه؛ إذ رأى في نفسه ما لم يرَ في الناس، فهو على قدر من الثقافة والعلم، والقدرة على القيادة وإدارة الأمور، وهو ما لم يتمتع به أبناء المجتمع حتى الرؤساء منهم، ثم إنّه خالط أبناء المجتمع وتقرب من الرؤساء وكان يطمح إلى العلياء، ومَن يكن في هذا المكان سيظهر له من الأمور وطبائع الناس وأحوالهم ما كان خافياً؛ فقد تعرض للمكائد والمؤامرات التي تجعله ينقم على المجتمع والزمن معاً؛ لأن الأحوال فيه تبدلت وتحولت وانحدرت إلى

الأسفل، فأصبح المال والثروة غاية من يتولى منصباً، فهمُّه أن يجمع الثروات ويكنز الأموال، وليس همُّه مصلحة الدولة. وقد تجذَّرت هذه النظرة فأصبحت شرطاً أساسياً لا يستغنى عنه، في من يريد أن يدخل سلك الدولة والسياسة.

ومن الأمور التي زادت من حنق الشاعر على الزمن ضعف السياسات والإدارات في الدولة، فلم يعد للدولة مكانتها واستقلاليتها، بل أصبح الخليفة صورة يتدخل السلاجقة في شؤونه، بل أصبحوا يديرون شؤون الدولة بالظلم والقهر والاستبداد ومصادرة الثروات والأموال(65) وهو ما لا يروق للأبيوردي؛ لذلك عزم على العودة إلى أصبهان، وهناك تولى فيها "أشراف مملكة السلطان محمد بن ملكشاه"(66)، وقد عبر عن تَأَسِّيه لذلك ولسوء السياسة وضعف الرؤساء بقوله(67):

يا سعدُ ذا اللِّمَّةِ المُرخاةِ ما عَلِقَت *** مِنكَ الخُطوبُ بِكابِي الزِّندِ هِلباجِ(68)
دَهرٌ تَذَأَّبَ مِن أَبنائِهِ نَقَدٌ *** وَأُوطِئَت عَرَبٌ أَعقابَ أَعلاجِ(69)
وَأَينَعَ الهامُ لكِن نامَ قاطِفُها *** فَمَن لَها بِزِيادٍ أَو بِحَجَّاجِ
وَكَم أَهَبنَا إليها بالملوكِ فَلَم *** تَظفَر بِأَروَعَ لِلغَمَّاءِ فَرَّاجِ

فهو يضعنا بصورة الوضع السياسي وحال الرؤساء في ذلك العصر؛ إذ بلغت من الضعف أن أصبح أراذل الناس وسفهاؤهم هم من يتحدثون ويسوسون البلاد. فقد غابت السياسة العربية والسيادة، بل أصبح الأمر كله والقول الفصل للعجم، والخلفاء صورة لا شأن لهم ولا كلمة؛ لذلك يتحسر على رجالات كزياد والحجَّاج، ويتمنى أن يجود الدهر بأمثالهم حتى يصلحوا تلك الأوضاع لتعود هيبة الدولة والخلافة الإسلامية.

وهكذا، فإنَّ الزمن الخاص بالشاعر قد بدا سوداوياً مظلماً بكل وجوهه؛ فأبناء المجتمع تخلّوا عن قيمهم ومبادئهم الإسلامية، وأصبحوا يسعون للغنى والثراء والمال، وأصبح هذا شغلهم الشاغل، وأصبحت السلطة همّهم؛ مما أعماهم عن الفضائل ومصلحة الدولة، فضلاً عن أنّ الحسد والبغضاء والتناحر من أجل الوصول إلى السلطة قد أعمى عيونهم، فأصبحت أمورها لا تُسنَد إلّا لهم، ولمن هو من طبقتهم، فضاع الفقير وضاعت حقوقه رغم القدرة والحنكة التي لديه، مما أضعف البلاد فأصبحت وجبة دسمة للعجم.

ومما يزيد سوداوية الزمن عنده الخليفة والرؤساء إذ إنّ الظلم قد ساد البلاد، وأصبحت الأمور تُسنَد إلى غير أصحابها، وأصبح غير العربي يتحكم في قوت العربي وماله، يعطيه إيّاه متى شاء وينزعه منه متى يشاء. وهذا النوع من الظلم هو الذي عانى منه الشاعر؛ إذ إنّ لديه من سعة الثقافة والإطلاع على العلوم، فضلاً عن رجاحة عقله وحكمته وقدرته على سياسة البلاد وقيادتها، والنسب الرفيع الذي ورث منه الكبرياء وعلو الهمة والشجاعة

حتى جعله البعض متنبئ القرن الخامس للهجرة، ما يجعله قائدا ومقرباً من الرؤساء، لكنّ الفقر ودسائس حاشية الملوك وكيدهم، هي العوامل التي أبعدته عن السلطة، وجعلته يشعر بالغبن والظلم، فكانت سبباً في تحطيم مجاذيفه في رحلة الهمة والطموح والعلياء التي رنا إليها منذ صغره؛ مما دفعه إلى ذمّ الزمان وأهله.

الهوامش

1. نصير، أمل طاهر، الزمن في شعر الشعراء العذريين في العصر الأمويّ، مجلة دراسات للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، عمّان، 2002، مجلد 2، عدد 29، ص.514

2. انظر: يوسف،حسني عبد الجليل، الإنسان والزمن في الشعر الجاهليّ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1988، ص8.

3. انظر: المحجوب، فاطمة، قضيّة الزمن في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص8.

4. ابن ذريح، قيس، ديوان قيس لبنى، تحقيق: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، 1998، ص56.

5. أبو تمام، ديوان أبي تمام، مراجعة: محمد عزت نصر الله، دار الفكر للجميع، 1980، ص156.

6. المنّاع، هاشم صالح، البعد النفسي وأثره في التعبير عن الزمن: طول الليل في الشعر الجاهلي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، 1998، مجلد1، عدد15، ص.128

7. الأبيوردي هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي، ينتهي نسبه إلى معاوية الأصغر، ولد في بلدة كوفن التابعة لخراسان، عام 457 للهجرة. ارتحل إلى بغداد لإحراز طموحاته الشخصيّة، فتولّى خزانة دار الكتب النظاميّة، ومدح خلفاء الدولة العباسية آنذاك كالمقتدي بأمر الله وولده المستظهر بالله، إضافة إلى أنّه مدح نظام الملك وزير السلاجقة وولديه عبيد الله وأحمد. عاد إلى أصفهان وتولّى فيها أشراف مملكة السلطان محمد بن ملكشاه وتوفّي هناك مسموماً سنة 507 للهجرة.

8. حقي، ممدوح، الأبيوردي ممثل القرن الخامس في برلمان الفكر العربيّ، دار اليقظة العربيّة، دمشق، د.ت، ص/ص174-175.

9. انظر: المصدر السابق، ص.38

10. الحديدي، عبد اللطيف محمد السيد، قراءة نقدية في نجديات الأبيوردي، وزارة المعارف، القاهرة، ط1، 1997، ص25.

11. الأبيوردي، أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق، ديوان الأبيوردي، ج1 العراقيات، تحقيق: عمر الأسعد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1974، ص/ص247-249.

12. المصدر السابق، ص/ص286-287.

13. أغنّ: رخيم الصوت، يمتار: من مار الطعام إذا جلبه.

14. الخشروم، عبد الرزاق، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1982، ص.241

15. الأبيوردي، ديوانه، ج1، 1974، ص/ص407-409.

16. شحادة، عبد العزيز محمد، الزمن في الشعر الجاهلي، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعيّة، عمان، 1995، ص156.
17. الأبيوردي، ديوانه، ج1، 1974، ص/ص620-621.
18. خصاص: ثقوب.
19. الأبيوردي، ديوانه، ج1، 1974، ص/ص171-172.
20. الأبيوردي، ديوانه، ج1، 1974، ص/ص287-289.
21. القيسي، نوري حمودي، الفروسيّة في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1984، ص125.
22. الأبيوردي، ديوانه، ج1، 1974، ص/ص557-558.
23. المصدر السابق، ص257.
24. أعطان: مفردها عِطن وهو المناخ حول الوِرد.
25. الأبيوردي، ديوانه، ج1، 1974، ص.576
26. المصدر السابق، ص/ص299-300.
27. من ذي فروغ: أي من سحاب ذي فروغ، وهي جمع فِرغ وهو مجرى الماء، وفي الأصل الدلو. ملثّ الوَدق: من ألثّ المطر إذا دام أيّاماً. ثجّاج: سيّال.
28. انظر: شحادة، عبد العزيز، الزمن في الشعر الجاهلي، ص.160
29. الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ج17، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1980، ص.235
30. الأبيوردي، ديوانه، ج1، 1974، ص149.
31. المصدر السابق ،ج2، ص.67
32. المصدر السابق، ص.86
33. المصدر السابق ،ج1، ص574.
34. المصدر السابق، ج2، ص127.
35. المصدر السابق، ج2، ص/ص101-102.
36. المصدر السابق، ج1، ص.151
37. الأبيوردي، ديوانه، ج2، ص24.
38. المصدر السابق، ج2، ص/ص72-73.
39. المصدر السابق، ج1، ص.515
40. المصدر السابق، ج2، ص.9
41. الأسعد، عمر، المتنبئ الصغير، دار العلوم، الرياض، 1976، ص123.
42. الأبيوردي، ديوانه، ج1، ص/ص174-175.
43. حقي، ممدوح، الأبيوردي، ص72.
44. الأبيوردي، ديوانه، ج2، ص/ص7-8.
45. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان، ج4، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977، ص.449
46. الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ج17، ص244.

47. أبو صالح، محمد، وآخرون، بين المتنبي والأبيوردي: دراسة إحصائية مقارنة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز للعلوم التربوية، 1988، مجلد1، د.ع. 1988، ص.275

48. الأبيوردي، ديوانه، ج2، ص/ص12-13.

49. الرّفرف: ما يفضُل من حاشية الثوب. فضفاضة: درعٌ واسعة. ذو خصل: فرس كثير شعر الذّنَب.

50. الأبيوردي، محمد بن أحمد، مخطوطة مجهولة الاسم، تحقيق: حمد الجاسر، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد 1، عدد 63، 1988، ص.35

51. الأبيوردي، ديوانه، ج2، ص91.

52. يُقال: رمى فأشوى إذا أخطأ المقتل وأصاب الشّوى؛ وهي الأطراف.

53. حقي، ممدوح، الأبيوردي، ص70.

54. الأبيوردي، ديوانه، ج2، ص.68

55. المصدر السابق، ص.126

56. حقي، ممدوح، الأبيوردي، ص86.

57. الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ج17، ص.235

58. ابن خلكان، أبو العباس، وفيات الأعيان، ج4، ص.445

59. الحموي، معجم الأدباء، ج17، ص/ص234-235.

60. انظر: المصدر السابق، ص.238

61. الأبيوردي، مخطوطة مجهولة الاسم، 1988، ص34.

62. الأبيوردي، ديوانه، ج2، ص/ص60-.61

63. المصدر السابق، ص112.

64. انظر: أبو صالح، محمد وآخرون، بين المتنبي والأبيوردي، ص278.

65. انظر: يحيى، فوزي أمين، وفتحي سالم حميدة، تاريخ الدولة العباسية: العصر العباسي الثاني، ج2، دار الفكر، عمان، ط1، 2010، ص/ص78-.83

66. الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ج17، ص238.

67. الأبيوردي، ديوانه، ج1، ص/ص295-296.

68. كابي الزند: كبا إذا لم يخرِج ناراً، وأراد به اللئيم. هلباج: الأحمق.

69. نَقَد: جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه.